

**العزل السياسى لأرباب الدولة
خلال عصر المماليك البحرية
(648 - 784هـ/1250 - 1382م)**

اعداد

هنيه بهنوس نصر عبد ربه

مدرس التاريخ الإسلامى المساعد - قسم العلوم الإجتماعية - شعبة

التاريخ - كلية التربية - جامعة دمنهور

مقدمة

يتناول موضوع البحث والدراسة العزل السياسي لأرباب الدولة خلال عصر دولة المماليك البحرية، فعلى الرغم من أن مصطلح العزل السياسي من المصطلحات الحديثة المستخدمة حالياً في علم السياسة إلا أننا نجد أن لفظة (عزل) قد وردت منفردة دون أن يرتبط بها كلمة (سياسي) في كثير من كتب التاريخ الإسلامي عند كلامهم عن عزل خليفة أو ملك أو سلطان أو أي شخصية عامة في الدولة، كما ورد في هذه الكتب أيضاً كثير من الكلمات التي توازي في المعنى إلى حد ما كلمة العزل ومنها الاقصاء - الإبعاد - الحجر - الطرد - النفي والخلع والتي يمكن اعتبارها من درجات العزل السياسي.

وقد عصر المماليك البحرية كثير من التغيرات والأحداث السياسية على الصعيد الداخلي و الخارجي، والتي كان لها تأثيرها على الأوضاع السياسية ونظام الحكم كما كان لها تأثيراتها على شتى النواحي الأخرى، والتي أثرت في تشكيل المجتمع المملوكي، وظهور النظام الطبقي فيه ، فقد انقسم إلى طبقة حكام يمثلها السلطان وأرباب الدولة من المماليك الذين كانوا أصحاب السلطة والنفوذ والحكم، وطبقة المحكومين التي تتمثل في رجال الدين من القضاة والعلماء والفقهاء، والتجار، والصناع والحرفيون والعامّة والعييد.

وعلى الرغم من أن الأمراء المماليك قد وصلوا إلى أعلى مناصب الدولة وسيطروا على أور الحكم والسلطة حتى بلغ بهم الأمر إلى إدعاء بعضهم السلطنة التآمر على خلع السلطان، ونجاح بعضهم في خلعة وسلطنة غيرة إلا أن ذلك لم

يحول دون عزلهم وإتخاذ إجراءات العزل السياسي ضدهم، وقد اختلفت أسباب عزلهم وتعددت، كما تنوعت وطرق العزل أيضاً، وتعددت النتائج التي ترتبت عليه.

أولاً: التعريف بأرباب الدولة:

هم أهل الدولة⁽¹⁾ من الذين يمثلون الطبقة الحاكمة ذات السلطة والنفوذ الممثلة في السادة من المماليك⁽²⁾، وهم أيضاً الطبقة الأولى من المجتمع والذين يمثلون أقلية عسكرية ممتازة، أما الطبقة الثانية فهي تمثل باقي فئات الشعب الخاضعة ، والتي عاشت محرومة من كل نفوذ في شئون الحكم، سوى بعض الوظائف ذات الصبغة الدينية⁽³⁾

وهم أيضاً أرباب السلطة والنفوذ الذين يتولون المناصب القيادية والإدارية العليا في الدولة والتي هي حكراً عليهم دون سواهم من فئات المجتمع الأخرى⁽⁴⁾، وهم أرباب السيوف والأقلام من نائب السلطنة والأتابك والوزير وحاجب الحجاب والوالي، ونواب السلطان في البلاد الشامية، وفي أقاليم مصر المختلفة، والولاة في الوجهين

(1) المقريري تقي الدين أحمد بن علي، (ت: 845هـ / 1441م): إغاثة الأمة بكشف الغمة، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999)، ص 103.

(2) ابن خلدون (ولي الدين عبد الرحمن بن محمد)، (ت: 808 / 1405 - 1406م) : مقدمة بن خلدون، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، ج1، (دمشق، دار يعرب، ط1، 2004)، ص 327؛ سعيد عبدالفتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، القاهرة، 1992، ص 16، 34.

(3) Lane-Poole.S: *A history of Egypt In the middle ages*, New york, Charles scribner's son, 153-157 fifth avenue, 1901, p.p252- 253

(4) عاشور: المجتمع المصري، ص 29.

العزل السياسي لأرباب الدولة خلال عصر المماليك البحريةية د. هنيه بهنوس نصر عبدي

القبلي والبحري، وناظر الدواوين وناظر الخاص وكاتب السر وغيرهم ممن تولوا مناصب ذات مساس بالحياة السياسية⁽¹⁾.

وعلى الرغم من السلطة التي كانت تجتمع في أيدي هؤلاء إلا أن ذلك لم يحول دون عزلهم والتخلص منهم سواء بالقتل أو النفي أو السجن، وذلك عندما يبدر منهم ما يستوجب على الحاكم ومن يعينه من أهل الحل والعقد عزلهم ، وقد تعددت أسباب العزل السياسي لأرباب الدولة، كما تنوعت طرق العزل واختلفت حال القائم بعملية العزل، كما ترتب على ذلك كلة عدة نتائج منها إيجابية وأخرى سلبية.

ثانياً: أسباب العزل السياسي لأرباب الدولة:

تعددت واختلفت أسباب العزل السياسي لأرباب الدولة وذلك حسب المنصب الذي شغله كل منهم، وحسب وجوده داخل الحضرة السلطانية أو خارجها، ومدى ما بدر منه من أفعال استوجبت عزله، وفيما يلي سنتعرض الدراسة بشيء من التفصيل لأهم أسباب العزل السياسي لأرباب الدولة:

1- إدعاء السلطنة :

كان من أسباب العزل السياسي لبعض أرباب الدولة ولا سيما نواب السلطة في البلاد الشامية إدعاءهم السلطنة، وتلقبهم بلقب السلطان، وقيامهم بكافة المراسيم والتشريف التي لا تحق إلا للسلطان، مثل سك أسمائهم على العملة والخطبة لهم على

(1) للاطلاع على المزيد فيما يتعلق بهذه الوظائف ومهام كل منها راجع، ابن فضل الله العمري (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن فضل الله بن يحيى بن أحمد العمري،(ت: 749هـ/ 1349م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق كامل سلمان ومهدي نجم ، ج3، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط1، 2010)، ص 305- 311؛ القلقشندي(أبي العباس أحمد) ت عام 821هـ/1418م: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج3،(القاهرة، المطبعة الأميرية، 1915)، ص14-34.

المنابر؛ وذلك بالرغم من وجود سلطان فعلي اجتمعت عليه الكلمة في الحضرة السلطانية؛ وبذلك فقد وجب عزلهم خشية إثارة الفتن والقتال، وتفرق الكلمة وقيام الحروب وسفك دماء كثيرة.

ومن أبرز من حدثهم أنفسهم بالوصول إلى منصب السلطنة بل والتلقب بها اثنين من نواب دمشق، الأول: الأمير سنجر الحلبي والذي كان نائباً على دمشق في عهد السلطان قطز (657-658هـ/1259-1260م)، فلما قتل المظفر قطز سنة (658هـ/1260م)، وتسلم الظاهر بيبرس (659-675هـ/) وبلغ ذلك سنجر استخلف الأمراء بدمشق لنفسه، وأعلن نفسه سلطاناً⁽¹⁾ وتلقب بالملك المجاهد، وضربت السكة باسمه⁽²⁾، وسكن قلعة دمشق واستولى على عدة بلاد من أعمال دمشق وذلك في سنة (658هـ/1259م)، ولكن الظاهر بيبرس كتب إلى أمراء دمشق يستميلهم إليه، ويأمرهم بالقبض على سنجر الحلبي، فأجابوه وأعلنوا رفضهم لسلطنة سنجر وخرجوا من دمشق ومعهم الأمير علاء الدين البندقداري⁽³⁾ وغيره من الأمراء

(1) أبو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المقدسي الدمشقي الشافعي)، (ت 665هـ/1266م): الذيل على الروضتين، وضع حواشيه وعلق عليه إبراهيم شمس الدين، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2002)، ص 321.

(2) المقرئ: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ج1، (بيروت، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط1، 1997)، ص 521؛ محمود شلبي: حياة الملك الظاهر بيبرس، (بيروت، دار الجيل، ط1، 1992)، ص 99-100.

(3) علاء الدين البندقداري: هو الأمير علاء الدين أيديكين بن عبد الله البندقداري، كان من أعيان الأمراء الصالحية، وكان استاذ الملك الظاهر بيبرس، حيث كان بيبرس مملوكه اشتراه لما كان بحماة، وفي عهد الملك الصالح أيوب رقاؤه وجعله بندقداره ولذلك عرف بالبندقداري، وعندما ولي بيبرس السلطنة ظل معظماً ومكرماً = عنده حتى توفي سنة 684هـ/1285م. ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف)، (ت عام 874هـ/1470م): المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، ج3، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985)، ص 155-156.

العزل السياسي لأرباب الدولة خلال عصر المماليك البحريةية د. هنيه بهنوس نصر عبديه

والجند، فخرج إليهم الأمير سنجر فحاربوه وهزموه وذلك سنة (659هـ/ 1260)، فهرب إلى بعلبك⁽¹⁾ ومعه جماعة من مماليكه، ودخل علاء الدين البندقداري دمشق واستولى عليها، وحكم فيها نيابة عن الظاهر بيبرس.⁽²⁾

وظل سنجر بقلعة بعلبك حتى تم القبض عليه وأرسل مقيداً إلى الملك الظاهر بيبرس، فعزله بالقلعة ثم مالبت أن عفى عنه وأطلق سراحه.⁽³⁾

أما الثاني: فهو الأمير سنقر الأشقر كان من كبار أمراء الملك الظاهر بيبرس، وفي سلطنة ابنه سلامش (678- 679هـ/ 1279م) أصبح الأمير قلاوون⁽⁴⁾ هو مدبر المملكة أما الأمير سنقر فقد ولي نيابة الشام واستمر بها حتى تم خلع العادل سلامش من السلطنة وتسلطن المنصور قلاوون، فلم يرض سنقر بسلطنته

(1) بعلبك: مدينة قديمة بينها وبين دمشق ثلاثة أيام، فتحها أبو عبيدة بن الجراح صلحاً سنة (14هـ/ 635م) الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي)، (ت عام 626هـ/ 1228م): معجم البلدان، ج1، (بيروت، دار صادر، 1977م)، ص 454-455.

(2) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج6، ص 76-77.

(3) المقرئزي: السلوك، ج1، ص 526؛ العيني: (بدر الدين محمود)، (ت 855هـ/ 1451م): عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تاريخ سلاطين المماليك، تحقيق محمد أمين، ج1، (دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2010)، ص 291.

(4) هو الأمير قلاوون الألفي الصالحي النجمي أبو الناصر محمد (أحد المماليك البحرية الذين نبغوا في أواخر الدولة الأيوبية، وهو قفجاق من قبيلة برج أغلي فجلب صغيراً واشتراه علاء الدين أفسنقر الساقى العادلي -وهو أحد مماليك الملك العادل أبي بكر بن أيوب- بألف دينار لهذا يعرف بالألفي، وبعد موت الأمير علاء الدين أفسنقر سنة 647هـ انتقل قلاوون وجماعة من مملكة إلى خدمة الملك الصالح نجم الدين أيوب الذي أطلق عليهم العلائية نسبة أستاذهم ولهذا عرف بالعلائية كما عرف أيضاً بالصالحي النجمي نسبة إلى الصالح نجم الدين أيوب الذي جعله من المماليك البحرية، وما زال كذلك حتى اعتلت شجر الدر عرش مصر. وكان قلاوون أحد الأمراء المماليك البحرية الذين خرجوا من مصر بعد مقتل فارس الدين أقطاي، ولكنه ما لبث أن عاد إليها وعظم نفوذه في عهد بيبرس. المقرئزي: السلوك، ج2، ص 122؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسن شمس الدين، ج7، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1992)، ص 248.

وأعلن هو أيضاً نفسه سلطاناً بدمشق على الممالك الشامية، بعد أن تمكن من الاستيلاء على قلعتها، ولقب بالملك الكامل⁽¹⁾، وبالتالي فقد أصبح المنصور قلاوون سلطاناً على مصر فقط، وأصبح سنقر سلطاناً على البلاد الشامية؛ ولذلك فقد سعى السلطان المنصور قلاوون إلى إقصائه وعزله عن هذه السلطنة حتى يعود الشام إلى سلطته، فقام بإرسال جيشاً كثيفاً بقيادة الأمير سنجر الحلبي لقتاله والقبض عليه، وتمكن الجيش من هزيمة سنقر الذي هرب من دمشق ومعه جماعة من أصحابه وجنده، واستولى المصريون على دمشق.⁽²⁾

بينما استولى سنقر بعد ذلك على عدة مدن وحصون وأعلن سيطرته عليها حتى وقع الصلح بينه وبين المنصور قلاوون سنة (680هـ/1281م).⁽³⁾

ولكن رغم ذلك فقد ظل سنقر ينجس على المنصور حياته لأنه كان يشعر بمدى خطره على بقائه في السلطنة وأنه لا بد وأن يعزله عما في يده من السلطات وعما يسيطر عليه من حصون؛ لأن ذلك يزيد من قوته ويدعم نفوذه، حتى كانت سنة (686هـ/1287م) وقعت الوحشة بين المنصور قلاوون وبين سنقر فأرسل إليه المنصور جيشاً بقيادة الأمير حسام الدين طرنطاي⁽⁴⁾ لحصارة والقبض عليه وعزله

(1) ابن إياس (زين العابدين محمد بن أحمد الحنفي)، (ت 930هـ/1523م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، حققها وكتب لها المقدمة محمد مصطفى، (فيسبادن، دار نشر فرانز شتاينر، 1975)، ص 350.

(2) ابن تغري بردي: المنهل، ج6، ص 91.

(3) المقرئزي: السلوك، ج2، ص142.

(4) حسام الدين طرنطاي: هو الأمير أبو سعيد طرنطاي بن عبد الله المنصور، عظيم دولة استأذنه المنصور قلاوون، في عهد الأشرف خليل صدر ما استوجب من السلطان القبض عليه وعزله وقتله

العزل السياسي لأرباب الدولة خلال عصر المماليك البحرية د. هنيه بهنوس نصر عبديه

عما في يده من الحصون والبلاد التي استولى عليها، فتقاتل الجيشان ولما أحس سنقر بالهزيمة طلب الصلح من الأمير طرنتاي الذي حلف له وأعطاه الأمان، وقبض عليه وتوجه به إلى مصر سنة (686هـ/1287م) وظل يسعى له لدى المنصور حتى عفا عنه وجعله على إمرة مائة ثم تقدمه ألف بديار مصر.⁽¹⁾

2- التآمر على خلع السلطان والفتك به:

من أسباب العزل السياسي لأرباب الدولة هو تآمر بعضهم على خلع السلطان، ولكن هذه المؤمرات كان يصل خبرها إلى السلطان كان يأمر باتخاذ إجراءات صارمة ضد المتآمرين على الإطاحة به، حيث كان يتم عزلهم إما بقتلهم أو نفي بعضهم، أو القبض عليهم وسجنهم ومصادرة أموالهم.

ففي سنة (691هـ/1291م) تآمر كل من الأمير سنقر الأشقر والأمير حسام الدين لاجين⁽²⁾ والأمير ركن الدين طقصور⁽³⁾ على خلع السلطان الأشرف خليل بن قلاوون (689-693هـ/1290-1293م)، فأمر السلطان بالقبض عليهم، ثم أمر

تحت العقوبة سنة 689هـ/1290م. ابن تغري بردي: الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق فاهيم محمد شلتوت، (القاهرة، مكتبة الخانجي، 1979)، 361.

(1) المقرئزي: السلوك، ج2، ص 187؛ ابن تغري بردي: المنهل، ج6، ص 94
(2) حسام الدين لاجين: هو أحد الأمراء الذين اشتركوا في قتل الأشرف خليل بن قلاوون، وقد تمكن من الهرب عقب مقتله، وقيل أن كتبغا حماه ورعاه طوال مدة اختفائه لأنه كان موافقاً له منذ الصغر، وعندما ولي =الناصر الملك شفع فيه كتبغا عند الناصر محمد فرضي عليه وأنعم عليه بتقدمة ألف. المنصوري (بيبرس)، (ت: 725هـ/1324م): زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق دونالد.س.ريتشاردز، (بيروت، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، ط1، 1998)، ص 296، ص 303.

(3) ركن الدين طقصور: هو طقصور بن عيد الله حمو السلطان المنصور لاجين، كان من أكابر الأمراء بديار مصر، وممن رشح للسلطنة، قتله الأشرف خليل سنة 691هـ/1291م. ابن تغري بردي: الدليل، ص 367.

بقتلهم خنقاً سنة (692هـ/1292م) ما عدا حسام الدين لاجين الذي ثبتت براءته من ذلك.⁽¹⁾

وفي سنة 710هـ/1310م اتفق الأمير بكتمر الجوكندار⁽²⁾ نائب السلطنة للناصر محمد في المرة الثالثة (709-741هـ/1309-1340م) مع الأمير بتخاص المنصوري⁽³⁾ على خلع الناصر محمد وسلطنة الأمير مظفر الدين موسى بن الملك الصالح على بن قلاوون وعمل على استمالة الأمراء والمماليك المظفرية لتحقيق ذلك، ولكن الناصر محمد علم بأمر هذه المؤامرة، فأرسل في طلب الأمير موسى وتم القبض عليه وسجنه، وقبض على الأمير بتخاص وسجنه، أما بكتمر الجوكندار فقد خلى الناصر محمد سبيله وتركه يذهب إلى بيته⁽⁴⁾، حتى كانت سنة (711هـ / 1311م) أمر الناصر بعزل بكتمر من نيابة السلطنة والقبض عليه وعلى جماعة من

(1) المقرئزي: السلوك، ج2، ص239-240.

(2) بكتمر الجوكندار: الأمير سيف الدين عبد الله بن الجوكندار ، كان أحد الأمراء الذين يشار إليهم في أيام سلار وبيبرس الجانشكير ولقد أرسله إلى قلعة الصبيبة نائباً عليها، ثم نقل منها إلى نيابة صفد ، وعندما حضر السلطان الناصر محمد من الكرك إلى مصر في سلطنته الثانية قدم معه فجعله الناصر نائباً للسلطنة وكانت له مكانة كبيرة لدى الناصر حت أنه كان يناديه (يا عمي)، حتى غضب عليه الناصر وأمر بالقبض عليه واعتقاله وذلك في سنة 711هـ/1311م . ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج3، ص 398-399.

(3) بتخاص المنصوري: الأمير سيف الدين بتخاص بن عبد الله المنصوري، كان من جملة أمراء دمشق وهو من المماليك البرجية، ولي نيابة صفد لمدة ست سنوات حتى عل عنها وعاد إلى القاهرة أميراً بها ، ولم يزل في مصر حتى عاد الملك الناصر محمد في سلطنته الثانية فعزم على القبض عليه فتحصن في مسكنة في برج القلعة وأغلق الأبواب ، ولكن تم القبض عليه واعتقاله سنة 710هـ/1310م.. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج 3، ص 23-238.

(4) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج9، ص 22-23.

العزل السياسي لأرباب الدولة خلال عصر المماليك البحرية د. هنيه بهنوس نصر عبدربه

الأمرأ الذين كانوا قد وافقوه على الوثوب على السلطان الناصر محمد، وأرسل إلى سجن الإسكندرية ومنها إلى سجن الكرك.⁽¹⁾

كما أمر الناصر محمد في سنة (715هـ/1315م) بالقبض على حاجب الحجاب الأمير بكتمر الحسامي⁽²⁾ وعزله من الحجابة لأنه أتهم أنه يريد الفتك بالسلطان، وأمر السلطان بسجنه بعد أن أخذ منه مائة ألف دينار⁽³⁾.

وفي سلطنة الناصر أحمد (742 - 743هـ/1342م) اتفق كل من الأمير قطلوبغا الفخري⁽⁴⁾ مع الأمير أيدغمش⁽⁵⁾ سنة (742هـ/1341م) على خلع السلطان

(1) المقرئزي: السلوك، ج2، ص 469، 474.

(2) بكتمر الحسامي: كان من ممالك الأمير طرنطاي نائب السلطنة ثم رقاها لاجين إلى إمرة عشرة ثم طبلخانة ثم استقر أمير آخور في سنة (697هـ/1297م) إلى أن عزل عنها سنة (701هـ/1301م) ثم تولى الحجوبية بدمشق ، وعندما عاد الناصر للسلطنة للمرة الثالثة ولاه نيابة غزة ثم صنف سنة (718هـ/1318م). ابن حجر(شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر بن أحمد العسقلاني الكنائي)،(ت: 852هـ/1448م): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج1، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، دت) ص 483.

(3) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج9، ص 33.

(4) قطلوبغا: هو الأمير سيف الدين قطلوبغا بن عبد الله الفخري الناصري الساقي ، كان من أكبر ممالك الملك الناصر محمد بن قلاوون ة، وكان أثيراً عند الناصر ، ولم يزل في أعز مكانة حتى بعد وفاة الناصر وتولي أبنائه السلطنة ، وقد توفي في دولة الملك الناصر أحمد ، وكان لقطوبغا دور كبير في توليته السلطنة ورغم ذلك فإن الناصر أحمد لم يحفظ له هذا الجميل وقتله سنة 743هـ/1342م. (ابن حجر: الدرر الكامنة، ج3، ص 250-251).

(5) أيدغمش: هو الأمير علاء الدين أيدغمش بن عبد الله الناصري الطباخي ، أصله من ممالك سيف الدين بلبان الطباخ ، ثم أخذه الملك الناصر محمد منه وجعله خاصكياً، ثم أميراً، ولما عاد الناصر إلى ملكه سنة 709هـ/ رقاها وجعله أمير آخور، وظل على ذلك حتى توفي الناصر محمد ، فكان أيدغمش ممن قام بأمر الملك المنصور أبي بكر، كما كان ممن قام على خلع بالاتفاق مع قوصون ولولاه لما تم لقوصون هذا الأمر، كما أنه حقد على قوصون فاتق مع الأمرأ على مسك قوصون وحبسه، وفي عهد الناصر أحمد أحمد تولى نيابة حلب وكان له دور كبير في تولية الناصر أحمد السلطنة ، وعندما ولي السلطنة الملك الصالح إسماعيل نقله إلى نيابة دمشق فأقام بها نائباً حتى توفي في سنة 743هـ/1342م. ابن تغري بردي: المنهل، ج3، ص 165-168.

الناصر أحمد وطلبوا من الأمراء موافقتهم على ذلك ولكنهم رفضوا الموافقة على الاشتراك في هذه المؤامرة ولم يؤيدوا فكرة عزل السلطان⁽¹⁾، ولكن يبدو أن الناصر أحمد قد علم بأمر هذه المؤامرة ولذلك فقد عمل على إبعاد كل من قطلوبغا وإيدغمش عن الحضرة السلطانية وعن الاختلاط بالأمراء المماليك في مصر ولذلك فقد ولى قطلوبغا نيابة دمشق، وولى أيدغمش نيابة حلب، وذلك حتى يضمن ولائهم له أيضاً.⁽²⁾

وفي سنة (748هـ/1347م) بلغ السلطان المظفر حاجي (747-748هـ/1348-146م) أن الأمير يلغا اليحياوي⁽³⁾ نائب الشام قد تآمر على خلعة حيث كتب إلى نواب طرابلس وحماه وصفد للخروج على السلطان لخلعة من السلطنة، ولذلك فقد أمر بعزله من نيابة الشام وطلب حضوره إلى مصر ليكون بها رأس مشورة⁽⁴⁾، وذلك لتكون حيلة من السلطان لإحضاره إلى مصر حتى يتسنى له القبض

(1) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج10، ص 51

(2) المقرئزي: السلوك، ج3، 364

(3) يلغا اليحياوي: الأمير سيف الدين يلغا بن عبد الله اليحياوي الناصري، استأذنه الملك الناصر محمد بن قلاوون، وتولى نيابة حماه سنة 743هـ/1342م، ولما ملك الملك الكامل شعبان تولى يلغا نيابة الشام فدخلها= في سنة 746هـ/1345م فظل بها حتى وصل إليه أن السلطان يسعي إلى مسكه والقبض، فاتفق مع غيره من نواب الشام وأمرائها على خلع الملك الكامل شعبان فكان ما كان من أمر خلعة وقتله وذلك في سنة 747هـ/1346م، ولما تسلطن المظفر حاجي أقر يلغا على نيابة دمشق، وقد قتل سنة 748هـ/1347م بعدما وقع بينه وبين السلطان المظفر حاجي. (ابن حجر: الدرر الكامنة، ج4، ص 437؛ ابن تغري بردي: المنهل، ج12، ص153-155).

(4) رأس المشورة: عبارة عن مجلس استشاري للسلطان يتكون من كبار الأمراء الذين يمثلون مجلساً استشارياً تنفيذياً معاً، وقد كان عدد هؤلاء محدداً، ففي أوائل أيام سلطنة الناصر حسن كان أمر المشورة والتدبير موكول إلى تسعة من الأمراء، ثم اقتضت الأحوال وقتذاك أن يصير هذا العدد عشرة، والواضح ان السلطان كان يسمي لهذا المجلس أو الهيئة رأساً يمكن اعتباره بمثابة وزير أو

العزل السياسي لأرباب الدولة خلال عصر المماليك البحرية د. هنيه بهنوس نصر عبدي

عليه ومعاقبته، وأخذ يلبغا يستعد للقدوم إلى مصر لتلبية دعوة السلطان حيث ظن أن استدعاه حقيقة⁽¹⁾، وعندئذ كتب السلطان المظفر إلى أمراء دمشق بأنه عزل يلبغا عن نيابة دمشق ويأمرهم بإمساك يلبغا، فخرجوا عليه على حين غفلة ولكنه تمكن من الهرب إلى حماه، ولكن نائب حماه قبض عليه، ثم كتب إلى المظفر حاجي بذلك فأمره بحمله إلى مصر، ولكن السلطان لم ينتظر قدوم يلبغا إلى مصر حيث أرسل إليه الأمير منجك اليوسفي السلاح دار⁽²⁾ فقام بقتله وقطع رأسه وحمله إلى السلطان.⁽³⁾

وفي سنة (1366/هـ/768م) دبر الأمير يلبغا العمري⁽⁴⁾ مؤامرة لخلع السلطان الأشرف شعبان بن الأمد حسين (764-778هـ/1362-1376م)، حيث أنه أنزل

رئيس لهم خاصة بعد تعطيل وإلغا منصب الوزير في دولة الناصر محمد بن قلاوون. ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ج10، ص 3-4، حاشية رقم 5.

(1) ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة** ج10، ص 129 - 130.

(2) **منجك اليوسفي**: هو الوزير سيف الدين منجك بن عبد الله اليوسفي الناصري، كان من مماليك الناصر محمد بن قلاوون، كان أول ظهوره على مسرح الأحداث في سلطنة الملك الصالح إسماعيل، وتقل في عدة وظائف وولايات، فقد ولي نيابة دمشق ثم نيابة السلطنة بمصر، وتوفي سنة 776هـ/1365م. ابن تغري بردي: **الدليل**، ص 743.

(3) المقرئزي: **السلوك**، ج4، ص50.

(4) **يلبغا العمري**: هو الأمير سيف الدين يلبغا بن عبد الله العمري الناصري الأتابكي الخاصكي، استاذ الملك الظاهر برقوق، اشتراه الملك الناصر حسن واعتقه، وجعله من خواصه، ولما لستبد السلطان حسن بالملك جعل مملوكه يلبغا ومعه طيبيغا الطويل من كبار الأمراء، حتى طمع يلغا في المل ووقع بينه وبين استاذه الناصر حسن وتمكن يلغا من قتل الناصر حسن وسلطن الملك المنصور بن المظفر حاجي، حيث صار مديراً لأمر المملكة، ثم خلع المنصور وسلطن الملك الأشرف شعبان، فعمل على التخلص من طيبيغا الطويل الذي كان يشاركه في أمور الدولة حتى صفا له الجو فاستأثر بالسلطة والنفوذ حتى سنة 768هـ/1366م، حيث أن ممالিকে خرجوا عليه وقتلوه بالاتفاق مع السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين. ابن تغري بردي: **المنهل**، ج12، ص 157-159؛ ابن العماد(شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي)،(ت

أخيه الأمير آنوك من القلعة وسلطنه ولقبه بالملك المنصور⁽¹⁾، ولكن الأشرف شعبان تمكن من هزيمة يلبغا وعزله عن طريق اغتياله على يد جماعة من مماليكه سنة (768هـ/1366م).⁽²⁾

كما قام الأتابك أسندمر⁽³⁾ بمحاولة أخرى لعزل الأشرف شعبان حيث تأمر مع جماعة من مماليك يلبغا على خلعهم، ولكن الأشرف شعبان تمكن من هزيمته وعزله من الأتابكية وأمر بالقبض عليه وسجنه في سجن الإسكندرية وذلك في سنة (769هـ/1367م).⁽⁴⁾

3- زيادة السلطة والنفوذ:

سواء كان السلطان قوي أو كان ضعيف كان يظهر بعض الأمراء الكبار الذين تزداد سلطتهم ويقوى نفوذهم حتى يصبحون خطراً يهدد السلطان، ولذلك كان لابد من عزلهم حتى تستقيم له الأمور، ولذلك فقد سعى السلاطين بعض المماليك البحرية إلى عزل وإبعاد كل من قويت شوكته وزاد نفوذه من أرباب الدولة، حيث

1089هـ/1678م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، ج8، (بيروت، دار ابن كثير، ط1، 1991)، ص 364-365.

(1) ابن العماد: شذرات الذهب، ج8، ص365

(2) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج11، ص39-40

(3) أسندمر: هو الأمير سيف الدين أسندمر بن عبد الله الناصري، أتابك العساكر بالديار المصرية، أصله من مماليك الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، وكان ممن وافق يلبغا العمري على قتل أستاذه السلطان حسن، واستمر في حزب يلبغا حتى قتل يلبغا، ثم صار أتابكاً بعده، وصار مدير المملكة للأشرف شعبان، حتى اتفق مع مماليك يلبغا على خلع الأشرف، فكانت نهايته حيث كشف الملك الأشرف هذه المؤامرة، وتمكن من القبض عليه، ثم مات سنة 779هـ/137م في سجن الإسكندرية. (ابن تغري بردي: المنهل، ج2، ص 440-443).

(4) السيوطي (عبد الرحمن ابن أبي بكر جمال الدين)، (ت: 911هـ/1605م): حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج2، (دم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، 1967/1968)، ص 119.

العزل السياسي لأرباب الدولة خلال عصر المماليك البحرية د. هنيه بهنوس نصر عبدربه

شهدت تلك الفترة زيادة نفوذ عدد كبير من الأمراء المماليك من أرباب السلطة والذين سعوا إلى تهميش سلطة السلطان المملوكي والحجر عليه، ولذلك فقد عمل سلاطين المماليك البحرية سواء الأقوياء منهم أو الضعفاء إلى قمع هذا النفوذ عن طريق عزلهم، حتى يكونوا عبرة لمن تسول له نفسه الاستيلاء على نفوذ السلطان وحجبه.

فقد أمر السلطان قلاوون بالقبض على الأمير علم الدين سنجر الحلبي؛ وذلك لأنه لما نجح في كسرة الأمير سنقر الأشقر والاستيلاء على دمشق عظم في أعين الناس وبدأ بعضهم في تسميته (الملك المجاهد) كما كان يلبق أولاً عندما إدعى السلطنة؛ وذلك فقد بادر قلاوون بعزله والقبض عليه وسجنه (1) كما أمر بالقبض على الأمير بدر الدين بيسري الأمير (2) الكبير لأنه عظم أمره وقوي نفوذه وأمر بسجنه فظل في السجن لمدة تسع سنين.(3)

وفي سنة (741هـ/1340م) أمر الناصر محمد بالقبض على الأمير تنكز الحسامي (4) وعزلة من نيابة الشام، وذلك بسبب زيادة نفوذه وسلطته حتى أنه أراد أن يساوي نفسه بشخص السلطان في المكاتبات وغيرها، وبلغ من نفوذه أيضاً أنه لم يقبل

(1) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج8، ص 33-34

(2) بدر الدين بيسري: أصله من ممالك الملك الصالح نجم الدين أيوب، وقد ترقى حتى صار أميراً مائة ومقدم ألف بالديار المصرية، وأصبح من أعيان الأمراء بمصر، وكان أحد من ترشح للسلطنة بعد مقتل الأشرف خليل بن قلاوون، وقد توفي في سنة 698هـ/1298م في السجن في عهد الناصر محمد. (ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج 3، ص 500-502).

(3) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج8، ص 147.

(4) تنكز الحسامي: الأمير الكبير أبو سعيد سيف الدين ، جلب إلى مصر وهو حدثاً اشتراه المنصور لاجين ، فلما قتل صار من خاصية الناصر محمد، وعندما عاد الناصر إلى ملكه سنة 709هـ/ 1309م ولاء نيابة دمشق. الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك)،(ت 764هـ/1362م): الوافي بالوفيات، تحقيق وإعتناء أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ج10، بيروت، دار إحياء التراث العرب، ط1، 2000)، ص 260-261.

شفاعة السلطان في جماعة من المماليك كان تنكز قد سجنهم، كما وصل به الأمر لدرجة أنه صرح بأنه يفضل لو أن الناصر محمد تنازل عن السلطنة لأحد أبنائه ويتولى هو تدبير أمور المملكة له، فأدت كل هذه الأمور إلى إثارة غضب الناصر محمد عليه، فأمر بعزلة من نيابة الشام والقبض عليه وقد أعقب ذلك مصادرة أمواله وممتلكاته. (1)

وفي سلطنة الصالح صالح بن محمد بن قلاوون (752-755هـ/1351-1354م) تم عزل الأمير صرغتمش من منصبه رأس نوبة كبير سنة (754هـ/1353م)، ففي سنة 753هـ/1352م خلع السلطان الصالح على الأمير صرغتمش بوظيفة رأس نوبة كبير، وجعل له التصرف في أمور المملكة كلها من العزل والولاية والحكم، فإلتف الناس حول صرغتمش وعظمت مكانته واستبد بالأمور، وعارض الأمراء في جميع أفعالهم، وأمر بأن لا يعمل شيء بعد مشورته⁽²⁾، مما أدى

(1) المقرئزي: السلوك، ج3، 290-293.

(2) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص 208-209.

العزل السياسي لأرباب الدولة خلال عصر المماليك البحريةية د. هنيه بهنوس نصر عبدربه

إلى إثارة غضب الأمراء عليه واتفاق الأمير شيخو⁽¹⁾ مع الأمير طاز⁽²⁾ على عزل صرغتمش من وظيفة رأس نوبة.⁽³⁾

4- معارضة تولية السلطان ابتداءً:

في سنة (746هـ/1345م) أمر السلطان الملك الكامل شعبان (746-747هـ/1345-1346م) بعزل الأمير آل ملك⁽⁴⁾ عن نيابة الشام وولاه نيابة صفد، وذلك لأن الأمير آل ملك كان ممن رفض وعارض تولية الكامل شعبان بعد وفاة أخته الملك الصالح إسماعيل، لذلك فعندما آلت السلطنة إلى الكامل شعبان لم ينس للأمير آل ملك ذلك وكان الأمير آل ملك نائب السلطنة لأخيه الملك الصالح إسماعيل (743-746هـ/1342-1345م) ولكنه استعفى منها لما تسلطن الكامل شعبان وطلب من أن يوليه نيابة الشام، فخلع عليه بها، ولكنه أرسل إليه وهو في طريقه إليها قرار عزله عنها وتقليده نيابة صفد بدلاً منها، إذ يبدو انه استكثرها عليه لما بلغه عنه معارضته لسلطنته، كما أمر بالقبض على جماعة من الأمراء ممن قاموا

(1) شيخو: هو الأمير سيف الدين شيخو بن عبد الله الناصري، الأمير الكبير، أصله من كتابية الملك الناصر محمد بن قلاوون، ثم صار من أحد أعيان الأمراء في دولة الملك المظفر حاجي، وفي سلطنة أخوه الناصر حسن صار من كبار مدبري السلطنة، وفي سلطنة الملك الصالح صار رأس نوبة النوب، ولما أعيد الناصر حسن إلى سلطنة للمرة الثانية صار أتباعاً للعسكر، وسمي أمير كبير، وأصبح صاحب الأمر والنهي في الدولة، وذلك حتى سنة 758هـ/1356م حيث وثب عليه أحد مماليك السلطان وقتله. (ابن تغري بردي: المنهل، ج6، ص 257-261).

(2) طاز: هو الأمير سيف الدين طاز بن عبد الله الناصري، أحد أعيان الأمراء بالديار المصرية، ثم نائب حلب، أصله من مماليك الناصر محمد بن قلاوون، ومن خاصيته، وبعد موته صار من أعظم أمراء الديار المصرية، وقد توفي سنة 763هـ/1361م. ابن تغري بردي: المنهل، ج6، ص362.

(3) المقرئزي: السلوك، ج4، ص199.

(4) آل ملك: السلطنة بالديار المصرية، والمعروف بحاجي آل ملك، وصاحب الجامع بالحسينية، وله أربطة بمكة وغيرها وله أعمال وأثر كثيرة، وقد توفي مقتولاً بالإسكندرية سنة 747هـ/1346م. ابن تغري بردي: المنهل، ص 154.

مع الأمير آل ملك في منع سلطنته ونفيهم إلى صفا⁽¹⁾، وأمر بعزل الأمير قماري⁽²⁾ عن نيابة طرابلس سنة (747هـ / 1346م) وتم القبض عليه وسجنه في سجن الإسكندرية ومصادرته أيضًا لأنه كان ممن عارض سلطنة الكامل شعبان بعد وفاة أخيه⁽³⁾.

5-الشائعات:

في سنة (742هـ/1341م) في سلطنة الأشرف كجك زاد نفوذ الأتابك قوصون⁽⁴⁾ وتغلب على السلطان وأصبح صاحب الأمر والنهي والعزل والولاية في المملكة حتى أشيع عنه أنه يريد ان يتسلطن فخاف الأمراء من تحكمة في السلطنة ومن صدق هذه الشائعة، فاجتمعوا على عزله واقصائه عن ممارسة أي سلطة أو التمتع بأي نفوذ فانفقوا على الخروج عليه⁽⁵⁾ وعندما علم قوصون بذلك تحصن بالقلعة واحتتمى بمماليكه، ولكن الأمير أيدغمش ومن معه من الأمراء نادوا في العامة بنهب دور قوصون واسطبله فهجم العامة على اسطبله ونهبوه وحبسوا حواصله وامواله ونهبوا قصره كل هذا وقوصون ينظر من شباك القلعة ويرى ما يحدث، وعندئذ أدرك أنه هالك

(1) ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة** ، ج10، ص 96-97.

(2) **قماري**: هو الأمير قماري الناصري، أخوه هو الأمير بكتمر الساقي أمره الناصر محمد بعد موت أخيه بكتمر، وكان قد حضر من بلاد الترك من أجل أخيه وعمل في الاستادارية في أيام الصالح إسماعيل. ابن حجر: **الدرر الكامنة**، ج3، ص 256.

(3) المقرئزي: **السلوك**، ج4، ص 8.

(4) **قوصون**: الأمير سيف الدين قوصون بن عبد الله الناصري الساقي، كان من أكابر مماليك الناصر محمد وأعظمهم ، وقد رقاها الملك الناصر محمد وزوجه بابنته في سنة 727هـ/ 1326م ، ولما مات الناصر كان له دور كبير في تولية ابنه المنصور أبي بكر السلطنة ، ثم خلعه بعد ذلك وقتله وفي عهد السلطان كجك صار نائبًا للسلطنة بمصر، وقد توفي سنة 742هـ/ 1341م. (ابن حجر: **الدرر الكامنة**، ج3، ص 257-258؛ ابن تغري بردي: **المنهل** ، ج9، ص 107-109).

(5) ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة** ، ج10، ص 33.

العزل السياسي لأرباب الدولة خلال عصر المماليك البحريةية د. هنية بهنوس نصر عبدربه

لا محالة وأنه لابد له وأن يسلم نفسه، فدخل عليه الأمراء وقبضوا عليه وقيدوه وأخذوه إلى سجن البرج ثم أخرج إلى سجن الإسكندرية.⁽¹⁾

وفي سنة (746 هـ/1345م) كثرة الشائعات باتفاق الأمير آل ملك نائب صفد مع الأمير يلغا اليحياوي نائب الشام على الخروج على السلطان وشق عصا الطاعة، ولكن الأمير آل ملك حاول أن يثبت براءته مما أشيع عنه عن طريق تجهيز محضر ثابت على يد قاضي صفد بالبراءة مما رمي به⁽²⁾، ولكن رغم ذلك فإن الناصر أحمد أمر بعزله عن نيابة صفد والقبض عليه وإحضاره إلى القاهرة، فقدم إلى مصر مقيداً سنة (747 هـ/1346م) ثم أرسله إلى الإسكندرية حيث تم اعتقاله بها، وتمت مصادرته.⁽³⁾

6- معارضة السلطان فيما يرسم والتعاضم والتكبر في مخاطبته:

ففي سنة (696 هـ/1296م) عهد السلطان لاجين بالوزارة إلى الأمير شمس الدين سنقر الأعسر⁽⁴⁾، وهو من أظهر وزراء دولة المماليك، وقد تمكن من القبض على زمام الأمور بنفسه، وتعاضم على الأمراء وكبار رجال الدولة، بل وتعدى ذلك الأمراء إلى السلطان نفسه، حتى أنه إذا أراد أن يستشير في أمر من أمور الدولة

(1) المقرئزي: السلوك، ج3، ص352-35.

(2) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص101.

(3) المقرئزي: السلوك، ج3، ص20، 23.

(4) شمس الدين سنقر الأعسر: هو الأمير سنقر بن عبد الله الأعسر المنصوري، ولي الاستادارية ثم الوزارة وكان من أعيان الأمراء، توفي سنة 709 هـ/1309م. ابن تغري بردي: الدليل، ص327.

أجابه إجابة مقتضبة تتم عن عدم الاكتراث لمقام مولاه⁽¹⁾، حتى أنه اضطر إلى عزله من منصبه وأمر بمصادرة أمواله وممتلكاته بمصر والشام⁽²⁾، وعبر عن استيائه منه وسخطه عليه بقوله: "ماله عندي ذنب غير كبره، فإني كنت إذا دخل علي أحسب أنه هو السلطان وأنا الأعسر، فصدره منقام، وحديثي معه كأني أحدث أستاذي".⁽³⁾

كما أمر السلطان الناصر محمد بعزل الأمير أسندمر كرجي⁽⁴⁾ عن نيابة حماه وولى نيابة حماه للملك المؤيد عماد الدين إسماعيل، ولكن أسندمر عارض تنفيذ ما أمر به السلطان كما رفض تسليم مدينة حماه للملك المؤيد، كما أنه استغل فرصة موت نائب حلب، وتوجه إليها واستقر بها وكتب إلى الناصر محمد يسأله في أن يعطيه نيابة حلب، فأعطاها له السلطان وأسر ذلك في نفسه لكونه أخذ نيابتها بالقوة، ثم أرسل إليه تجريدة لعزله عن حلب والقبض عليه كما أرسل إلى أمراء حلب يأمرهم

(1) المقرئزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقرئزية)، ج2، (القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط2، 1981) ص 84؛ علي إبراهيم حسن: تاريخ المماليك البحرية، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، دت) ص 293.

(2) ابن كثير ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل الدمشقي)، (ت: 774هـ / 1372م) : البداية والنهاية، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، ج17، (القاهرة، دار هجر، ط1، 1998)، ص 698.

(3) المقرئزي: الخطط، ج2، ص 84.

(4) أسندمر كرجي: الأمير سيف الدين أسندمر بن عبد الله الكرجي، كان من جملة الأمراء المماليك بمصر، ثم ولي نيابة طرابلس فعظم أمره وقويت شوكته، ولما تولى الناصر محمد سلطنته الأولى نقله من نيابة طرابلس إلى نيابة حماه، ثم نقله الناصر إلى نيابة حلب فظل عليها مدة يسيرة حتى أرسل إليه الناصر من قبض عليه وأحضره إلى القاهرة ثم نقل منها إلى الكرك فسجن بها حتى مات سنة 711هـ/1311م. (أبو الفدا: الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل ابن علي)، (ت: 732هـ/1331م): المختصر في أخبار البشر، تحقيق محمد زينهم عزب وآخرون، ج4، (القاهرة، دار المعارف، 1998)، ص 77؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج2، ص 443-444).

العزل السياسي لأرباب الدولة خلال عصر المماليك البحريةية د. هنيه بهنوس نصر عبدربه

بالقبض على نائبها اسندمر كرجي، فتم القبض عليه وقيد وسجن بقلعة حلب وتمت مصادرتة.(1)

وفي سنة (735هـ/1334م) أمر السلطان الناصر محمد بإخراج الأمير أفوش الأشرفي⁽²⁾ الذي كان نائبًا للكرك من مصر⁽³⁾؛ وذلك بسبب معارضته للسلطان فيما يرسم به، وكان المبرر لاختراجه من مصر أن السلطان خلع عليه بنيابة طرابلس.⁽⁴⁾ في سنة (742هـ/1341م) أمر السلطان الناصر أحمد بعزل الأمير طشتمر حمص أخضر⁽⁵⁾ من نيابة السلطنة والقبض عليه وذلك بسبب معارضته للسلطان بحيث أنه كان يرد مراسيمه ويتعاضم على الأمراء والأجناد وإذا أتته قصة عليها علامة السلطان بإقطاع أو غيره أخذ ذلك وطرد من هي باسمه، كما قرر للسلطان أن لا يمضي من المراسيم إلا ما يختاره، وقد حدث أن الناصر أحمد خلع على ناصر الدين المعروف بفأر السقوف بجعله إمامًا للسلطان يصلي به وجعل له نظر المشهد النفيسي وذلك دون علم الأمير طشتمر النائب فما كان منه إلا أن أحضر ناصر الدين وأمر بضربه ونزع عنه الخلعة وألزمة بدفع غرامة قدرها مائة ألف درهم، فعظم

(1) أبو الفدا: المختصر ، ج4، ص 79؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج9، ص 21- 24

(2) أفوش الأشرفي: هو الأمير جمال أفوش بن عبد الله الأشرفي، ولي نيابة الكرك ثم دمشق ،

ومات في سجن الإسكندرية سنة 736هـ/1335م ابن تغري بردي: الدليل، ص 146.

(3) المقريزي: السلوك، ج3، ص 184.

(4) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج9، ص 86.

(5) طشتمر: هو الأمير سيف الدين بن عياد الله الناصري الساقي ، المشهور بحمص أخضر، وهو

من مماليك الناصر محمد بن قلاوون ، وأحد خواصه، ترقى في دولة أستاذه ومن بعده حتى صار

من جملة الأمراء بمصر ، وقد ولي نيابة صنف، ثم نقل إلى نيابة حلب في سنة 741هـ/1340م ثم

ولي نيابة السلطنة بمصر سنة 742هـ/1341م، ثم قبض عليه بعد أن استمر في نيابة السلطنة خمسة

وثلاثون يومًا، فقتل سنة 743هـ/1342م.(ابن تغري بردي: المنهل ، ج6، ص 392- 393).

ما فعله على السلطان وعلى الأمراء حتى قرر السلطان عزله والقبض عليه، ومصادرة أمواله وممتلكاته وسجن مماليكه.⁽¹⁾

7- الوشائيات والسعايات:

في سنة (714هـ/1314م) سعى الأمير تتكز نائب الشام بنائب صفد لدى السلطان الناصر محمد حتى عزله عن نيابة صفد وقبض عليه وحمل مقيداً إلى مصر حيث سجن بالقلعة، وكان سبب هذه الوشاية ان الناصر محمد قد كتب إلى نواب البلاد الشامية بان لا يكتب منهم أحداً السلطان وإنما يكتب تتكز نائب الشام ويكون تتكز هو المكاتب للسلطان في أمرهم، فشق ذلك على النواب ولاسيما نائب صفد الذي أنكر ذلك فما كان من تتكز إلا ان سعى به لدى الناصر حتى عزله.⁽²⁾

وفي سنة (727هـ/1326م) كانت الوشاية من أسباب عزل نائب السلطنة الأمير أرغون الدوادر⁽³⁾، حيث أن الفخري ناظر الجيش وشى به لدى السلطان الناصر محمد وذلك لمنافرة قديمة كانت بين أرغون والفخري، كما أن أرغون كان قد أهانة وأحط من قدره؛ ولذلك فقد أوغر صدر الناصر ضده وسعى به حتى تغير عليه الناصر، كما أن الفخري أشار على الناصر بإبطال النيابة والاستبداد بالأمر خشية أن ينقلب عليه أرغون ويخلعة ويسلطن نفسه كما سبق وفعل لاجين مع العادل كتبغا حينما كان نائباً للسلطنة في عهده، وخشية أيضاً أن يفسد المملكة كما كان سلا

(1) الصفدي: الوافي بالوفيات ، ج6، ص 441- 442؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص 51- 53.

(2) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج9، ص 32.

(3) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج1، ص 351.

العزل السياسي لأرباب الدولة خلال عصر المماليك البحرية د. هنيه بهنوس نصر عبدي

نائب السلطنة السبب في فساد مملكة المظفر بيبرس؛ ولذلك فقد أمر الناصر بعزله والقبض عليه ومصادرة أمواله وحواصله. (1)

وفي نفس السنة أمر السلطان الناصر محمد بعزل الأمير بهاء الدين أصلم (2) وأخيه وجماعة من الأمراء القبقاقية؛ وذلك لأن بعض أعدائه قد وشى به عند السلطان بأنه وأخوه وجماعة من القبقاق قد عزموا على الهجوم على السلطان وتغيير نظام الحكم وخلع السلطان، فأرسل الناصر محمد يطلب حضوره على الفور للتأكد من صدق ما قيل عنه ، وعندما حضر سأله الناصر عن مدى صحة هذه الوشاية، فنفى أصلم ما نقل عنه، ولكن الناصر محمد لم يصدقه وعمل على اقصائه فأمر بالقبض عليه وسجنه في برج القلعة ثم نفى أخوه وجماعته إلى الإسكندرية حيث سجنوا بها. (3) وفي سنة (739هـ/1338م) أمر الناصر محمد بعزل الأمير علاء الدين الطنبغا (4) عن نيابة حلب إلى نيابة غزة؛ وذلك بسبب وشاية الأمير تنكز نائب الشام حيث وقعت بينه وبين الأمير علاء الدين مشاحنة إنتهت بسعي تنكز به لدى الناصر حتى عزله. (5)

(1) المقرئزي: السلوك، ج3، ص95-96.

(2) بهاء الدين أصلم: هو الأمير أصلم بن عبد الله الناصري السلحدار ، من المغول القبقاق، وأحد المقدمين بالديار المصرية ، وصاحب مدرسة بباب المحروق ، وتوفي سنة 746هـ/1345م ابن تغري بردي: الدليل، ص 134.

(3) المقرئزي: السلوك، ج3، ص97.

(4) علاء الدين الطنبغا: ولي كثير من المناصب في عهد الناصر محمد من نيابة حلب ثم غزة ثم الشام سنة 741هـ/1340م بعد عزل تنكز، ثم وقع خلاف بينه وبين طشتمر حمص أخضر النائب قي سلطنة الأشرف كجك فعزل من منصبه وقبض عليه وقتل سنة 742هـ/1341م. ابن حجر: الدرر الكامنة، ج1، ص 408-409.

(5) ابن الوردي(عمر بن مظفر)،(ت عام 749هـ/1349م): تاريخ ابن الوردي، ج2، دم ، المطبعة الوهبيية، 1285هـ، ص225.

8- خشية إثارة الفتنة:

كانت من أسباب إبعاد السلطان المظفر حاجي للأمير أرغون شاه الناصري عن مصر وإخراجه منها إلى نيابة صفد خشية من أن يتسبب وجوده بها في حدوث فتنة، حيث أنه كان قد اتفق مع عدة من المماليك على الخروج على السلطان.⁽¹⁾ وفي سنة (749هـ/1348م) أمر السلطان الناصر حسن (748-752هـ/1348-1351م) بإخراج الأمير أحمد شاد الشرابخاناة إلى نيابة صفد وذلك لأنه قد عمد إلى إثارة الفتن منذ عهد سلطنة المظفر حاجي حتى قتل ثم أخذ في تحريك الفتنة في عهد الناصر حسن حيث أتفق مع جماعة من الأمراء المماليك على الخروج عليه⁽²⁾، فلما بلغ ذلك نائب السلطنة الأمير ببيغا أرس⁽³⁾ قال: "إن أحمد صاحب فتنة ولا بد من إخراجة من بيننا" ولذلك فقد خلع عليه الناصر حسن باستقراره في نيابة صفد.⁽⁴⁾

9- رغبة السلطان في الاستقلال بالسلطة والنفوذ:

خاصة في الفترة التي أعقبت وفاة الناصر محمد في عهد أبنائه وأحفاده تلك الفترة التي شهدت ضعف السلاطين وتغلب كبار الأمراء عليهم واستيلائهم على

(1) ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ج10، ص123.

(2) المقرئزي: **السلوك**، ج4، ص71.

(3) **ببيغا أرس**: الأمير سيف الدين ببيغا بن عبد الله القاسمي، كان من جملة أمراء الملك الناصر محمد قلاوون، ثم ولي نيابة السلطنة بمصر بعد الملك الناصر، ثم نقل إلى نيابة حلب سنة 752هـ/1351م، وظل على نيابة حلب حتى خرج عن الطاعة وانضم إليه نواب البلاد الشامية وبعض أمراء الشام وحلفوا له، فخرج الملك الصالح لقتاله ومن انضم إليه، وتمكن من هزيمته والقبض عليه وعلى أصحابه، وحبس بقلعة حلب، وقتل سنة 753هـ/1352م. (الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج6، ص221-222؛ ابن تغري بردي: **المنهل**، ج3، ص486-488).

(4) ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ج10، ص153.

العزل السياسي لأرباب الدولة خلال عصر المماليك البحريةية د. هنيه بهنوس نصر عبديريه

السلطة وإنفرادهم بتدبير أمور المملكة دون السلطان، إلا أن بعض هؤلاء السلاطين قد حاول قدر المستطاع تحقيق الاستقلالية في حكمة والاستبداد بتدبير أمور السلطنة دون سيطرة كبار الأمراء المماليك، وذلك من خلال عزلهم ومنعهم من ممارسة أي سلطة أو نفوذ داخل الدولة تمهيداً لاستبداد السلطان بأمر الحكم، فنجد أن السلطان الناصر حسن في سلطنته الأولى ولاسيما في الفترة الأخيرة منها سنة (751هـ/1350م) انتهز فرصة غياب ببيغا أروس نائب السلطنة لأداء فريضة الحج، وجمع الأمراء والقضاة الأربعة وأعلن أنه قد بلغ سن الرشد، وأنه ليس لأحد من الأمراء أن يحجر عليه، فأثبتت الحضور رشده، وبذلك فقد أسقطت وصاية الأمراء عليه، وسلموا إليه أمور المملكة، فقبض على زمام الأمور بنفسه.⁽¹⁾

ومنذ ذلك الحين أخذ الناصر حسن يعمل على توطيد أقدامه في الحكم، واستبد بالسلطة والنفوذ⁽²⁾، وسعى إلى عزل واقضاء كبار الأمراء المماليك كانوا عقبة في سبيل تحقيق استقلالة واستبداده بأمر الحكم، فعزل الأمير منجك اليوسفي من الوزارة وأمر بالقبض عليه ومصادرة امواله، وأخرج إلى سجن الإسكندرية، كما أمر بالقبض على الأمير شيخون وعزله من وظيفته رأس نوبة والقبض عليه، كما قبض على الأمير عمر الحاجب وعزله وأخرجه إلى سجن الإسكندرية⁽³⁾، كما قام بعزل الأمير ببيغا أرس من نيابة السلطنة، وقبض على جماعة أخرى من الأمراء ، وأرسلهم

(1) المقرئزي: السلوك، ج4، ص 123؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص536.
(2) المقرئزي: السلوك، ج4، ص123؛ وليم موير : تاريخ دولة المماليك في مصر، ترجمة محمود عابدين وسليم حسن،(القاهرة، مكتبة مدبولي، ط1، 1995)، ص112.
(3) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج 10 ، ص 17- 14.

إلى سجن الإسكندرية⁽¹⁾، وعمل على ملاحقة كبار الأمراء الذين استمروا يتدخلون في شؤونه، فعزلهم من مناصبهم وقام بسجن بعضهم كما نفى البعض الآخر.⁽²⁾

10-الظلم والتعسف:

ففي سنة (1328هـ/729) عزل الناصر محمد والي القاهرة⁽³⁾ الأمير قدادار⁽⁴⁾؛ وذلك بسبب قسوته في معاملة الناس وسفكه للدماء، حتى ضاق الناس به وكرهوه وكثرة شكاياتهم منه فأمرالناصر بعزله.⁽⁵⁾

وفي سنة (1347هـ/748) عزل الأمير بيدمر البدري عن نيابة حلب بسبب ظلمة وتعسفة وسوء معاملته لأهلها⁽⁶⁾، وفي سنة (1382هـ/784م) تم القبض على الأمير أقبغا المارديني نائب الوجه القبلي وسجن، لقبح سيرته، وظلمه وتعسفه مع الناس وإسرافه في إراقة الدماء، وأخذ الأموال من الناس وتم مصادرة أمواله التي كان قد اغتصبها من أهل البلاد.⁽⁷⁾

(1) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل حشادة، مراجعة سهيل زكار ، ج5، (بيروت، دار الفكر العربي، 2000)، ص 511؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص536؛ محمد سهيل طقوش : تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام ، (لبنان، دار النفائس ، 1997)، ص306.

(2) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص174-177.

(3) المقرئزي: السلوك، ج3، ص119.

(4) الأمير قدادار: ولي القاهرة ست سنوات منذ سنة 724هـ/1323م حتى سنة 730هـ/1329م، وكان من مماليك برلغي وترقى إلى أن ولي البحيرة ثم القاهرة، ومات سنة 730هـ/1329م. ابن حجر: الدرر الكامنة، ج3، ص244.

(5) المقرئزي: الخطط، ج2، ص149-150؛ علي إبراهيم حسن : تاريخ المماليك البحرية، ص297-298.

(6) ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج2، ص345.

(7) المقرئزي: السلوك، ج5، ص138.

11-التنافس بين الأمراء:

أدى التنافس الشديد بين كل من الأمير يلغا العمري والأمير طيغا الطويل على الاستبداد بأمور السلطنة إلى محاولة يلغا عزل الأمير طيغا عن ممارسة أي سلطة أو نفوذ والذي كان يشاركه في تدبير أمور المملكة للأشرف شعبان بن الأمد حسين، فخشي يلغا من زيادة نفوذه وأراد أن يستبد بالأمر وحده دون أن يشاركه طيغا في الأمر⁽¹⁾، ولذلك فقد سعى إلى إبعاد عن الحضرة السلطانية حتى يتسنى له ذلك، فأرسل إليه مع جماعة من الأمراء على لسان السلطان بتوليته نيابة دمشق، ولكن طيغا رفض قبول هذه الخلع، وخرج على يلغا الذي اتفق بدوره مع السلطان الأشرف شعبان على إبعاده والتخلص منه، وتمكن يلغا من هزيمة طيغا الطويل ومن معه من الأمراء⁽²⁾ وقبض عليه وعلى صحبه وأرسلوا إلى سجن الإسكندرية سنة (767هـ/1365م).⁽³⁾

ثم أمر السلطان بعد ذلك بالإفراج عنه وأمر بنفيه إلى القدس بطالاً دون عمل، وب عزل طيغا ونفيه صفا الأمر للأمير يلغا العمري وصار هو المتكلم في أمور المملكة ، وانفرد بتدبير الأمور دون أن يشاركه أحد⁽⁴⁾.

12-التباؤ في القيام بمهامهم:

(1) ابن خلدون: العبر ، ج5، ص 519.

(2) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج11، ص 31- 32.

(3) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج2، ص 231.

(4) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج11، ص 32.

ففي (727هـ/1326م) عزل السلطان الناصر محمد الأمير أرغون الدوادر نائب السلطنة من منصبه ، وكان من أسباب عزله أن تباطأ في القضاء على فتنة قام بها أحد شيوخ العريان ويدعى مهنا. (1)

وفي سنة (764هـ/1362م) أمر السلطان بعزل الأمير جرجي الإدريسي (2) عن نيابة حلب لعجزه عن القيام بمصالح حلب في ظل وجود التركمان الذين كانوا يقومون بشن غاراتهم عليها. (3)

ثالثاً: طرق العزل السياسي لأرباب الدولة:

كما تعددت وتتنوعت أسباب العزل السياسي لهم فقد اختلفت أيضاً طرق عزلهم باختلاف المنصب ومدى العلاقة بالسلطة الحاكمة، ومن هذه الطرق :

1- الاستعفاء: وهو أن يطلب الشخص إعفائه من من تقلد منصب أو ولاية ما فتتم موافقه على إعفائه، والاستعفاء يعني الاستقاله بمعنى طلب العزل، حيث يطلب الشخص عزل نفسه بارادته فيقبل عزله. (4)

وقد كان هذا الاستعفاء نتيجة لخوفه على حياته من بطش السلطة الحاكمة به، لذلك فكان يؤثر الابتعاد قد المستطاع، فيطلب إعفائه من يتقلده ، فعندما عاد الناصر محمد إلى السلطنة سنة (709هـ/1309م) للمرة الثالثة طلب الأمير سلا

(1) المقرئبي: السلوك، ج3، ص92؛ محمد عبد الغني الأشقر : نائب السلطنة المملوكية في مصر، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999)، ص 229.

(2) جرجي الإدريسي: هو الأمير جرجي بن عبد الله الناصري ولي نيابة طرابلس ثم حلب ، ثم نقل إلى إمرة دمشق وبها توفي سنة 772هـ/ 120م .ابن حجر: الدرر الكامنة ، ج1، ص 535.

(3) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج11، ص 34.

(4) عبد الله صالح الكنهل: العزل عن الولايات النيابية في الفقه الإسلامي، ج1، (المملكة العربية السعودية، الادارة العامة للثقافة والنشر، 2004)، ص 65- 66.

العزل السياسي لأرباب الدولة خلال عصر المماليك البحرية د. هنيه بهنوس نصر عبدربه

نائب الذي كان نائباً للسلطان بيبرس الجانشكير (708 - 709هـ/1308 - 1309م) من السلطان الناصر محمد إعفائه من الإمرة والنيابة كما طلب منه أن يخلع عليه بالشوبك، فأجيب إلى ذلك، وفي ذلك يقول ابن تغري بردي: "وكانت الخلة التي خلعها السلطان عليه بالعزل عن النيابة أعظم من خلة الولاية".⁽¹⁾

ومن المرجح أن الأمير سلار لجأ إلى طلب عزل نفسه من النيابة لأنه كان يخشى على نفسه من الناصر محمد الذي عاد إلى السلطنة وفي نيته الانتقام من كل من حجروا عليه وعملوا على تفويض سلطانه وخلعة من السلطنة، حيث أن الناصر عمل على التخلص منهم إما بالعزل أو بالقتل أو بالنفي كما أنه لم يسمح بوجود أي شخص يعلو نفوذه على نفوذ السلطان، فعندما كان يشعر بزيادة نفوذ وسلطة أمير ما من الأمراء المماليك كان يأمر على الفور بعزله واعتقاله وقد يصل الأمر إلى قتله أو نفيه كما سبق وبيننا.

كما أن الأمير قراسنقر⁽²⁾ نائب الشام قد طلب عزل نفسه من نيابة دمشق والخلع عليه بنبابة حلب⁽³⁾؛ خوفاً على نفسه من من شر الناصر محمد، ولذلك فأراد أن يبعد نفسه عنه وذلك سنة (711هـ/1311م) فأجيب إلى ذلك وكتب له الناصر بذلك إلا أنه كان يسر له في نفسه عزله والقبض عليه ولكن كان يتحين الفرصة

(1) ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ج9، ص 10.

(2) **قراسنقر**: هو الأمير قراسنقر بن عبد الله المنصوري، أحد مقدمي الألواف بمصر، تولى نيابة حماه ثم حلب لمدة عشر سنين ثم عزل عنها سنة 691هـ/1291م وصار نائباً للسلطنة بمصر، ثم ولي نيابة حلب ثانياً واستمر بها لمدة عشر سنين أخرى، ثم نقل إلى نيابة دمشق ثم ولي حلب مرة ثالثة، واستمر بها حتى هرب من الناصر محمد ولجأ إلى التتار، فمات في مراغة سنة 728هـ/1327 وقد تجاوز سبعين سنة. (ابن تغري بردي: **الدليل**، ص 539).

(3) أبو الفدا: **المختصر**، ج4، ص 78.

لذلك⁽¹⁾، وكان السبب وراء ذلك أن الأمير قراسنقر كان ممن شارك في قتل أخيه السلطان الأشرف خليل⁽²⁾، وبعد أن ولاء الناصر نيابة دمشق أدى ذلك إلى إثارة غضب المماليك الأشرفية فأخذوا يوغرون صدر الناصر ضده ويحرضونه على التخلص منه انتقاماً لأخيه، وعندما فطن قراسنقر لم يحاك ضده طلب من السلطان أن يوليه نيابة حلب، ليكون بعيد عن عيون السلطان من ناحية وقريباً من الحدود مع المغول من ناحية أخرى، وذلك حتى يتسنى له اللجوء إليهم عندما يشعر بالخطر وهو ما حدث.⁽³⁾

فقد عمد الناصر إلى القيام بحملة تطهيرية إقصائية ضد عدد كثير من الأمراء المماليك ممن كان قد خلع عليهم بالإمرة والنيابة⁽⁴⁾، والذين زاد نفوذهم وقويت شوكتهم؛ فبيدوا أن الناصر قد خشي على نفسه منهم من أن يتكرر معه كما حدث في سلطنته الأولى والثانية من حجب الأمراء عليه وخلعه من السلطنة، ولذلك فقد عمل على التخلص من هؤلاء الأمراء لضمان استقرار ملكه وحتى يستبد بأمر المملكة دون أن يشاركه في ذلك أحد.

(1) ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ج9، ص 24.

(2) النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب)، (ت عام 733هـ/ 1332م) : **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق نجيب مصطفى فواز وحكمت كشلي فواز، ج31، (بيروت، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، دت) ، ص 163.

(3) الدواداري (أبو بكر بن عبد الله بن أبيك)، (مولده ووفاته غير معروف): **كنز الدرر وجامع الغرر**، الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر، تحقيق صلاح المنجد ، الجزء9، (القاهرة ، دن، 1961) ، ص 229- 230؛ محمد سهيل طقوش: **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام**، ص 261.

(4) للاطلاع على أسماء هؤلاء الأمراء راجع: الدواداري: **كنز الدرر**، ج9، ص211 وما بعدها؛ ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ج9، ص 22- 33.

العزل السياسي لأرباب الدولة خلال عصر المماليك البحرية د. هنيه بهنوس نصر عبدي

2- عزل الأمير من ولاية والخلع عليه بولاية أخرى أكبر: وذلك رغبة من السلطة الحاكمة في إبقاء هذا الأمير تحت أعينها ومراقبتها من ناحية، ولضمان ولائه لها من ناحية أخرى وذلك من خلال جعله في منصب مرموق يعد من أعلى مناصب الدولة بعد السلطنة، كما أنه يكون محاولة منها لاحتوائه حتى لا يحاول الخروج عليها وتغيير نظام الحكم، وفي بعض الأحيان كانت تنجح هذه الطريقة.

ففي سنة (709هـ/1309م) عزل الناصر محمد الأمير شمس الدين قراسنقر عن نيابة حلب واستقر به في نيابة دمشق⁽¹⁾، وكانت نيابة دمشق تمثل أجل نيابات الشام، وأرفعها رتبة⁽²⁾ وفي سنة (748هـ/1347م) أمر المظفر حاجي بن محمد بن قلاوون بعزل الأمير يلغا اليحياوي من نيابة الشام وخلع عليه بولاية السلطنة في مصر، وذلك كحيلة لإحضاره إلى مصر للقبض عليه⁽³⁾.

3- العزل عن طريق الحيلة: فقد أراد الناصر محمد عزل نائبه بكتمر الجوكندار والقبض بسبب تأمره على الخروج على السلطان لخلعة من السلطنة؛ ولذلك فقد عمل الناصر على تدبير حيلة لعزله والقبض عليه وإبعاده عن ممارسة أي سلطة أو نفوذ داخل الدولة، فنزل مطعم الطيور المخصصة للصيد ومعه بكتمر، ثم أخبره الناصر بأنه لم يبق في دولته ممن يخشى شرمهم سوى أميرين وذكر أسمائهم له، وأنه يريد القبض عليهم، فوعده بكتمر بأنه سيقبض عليهما قبل أن يخرج من المطعم، وكان ذلك يوم الثلاثاء، ولكن الناصر طلب منه إرجاء ذلك إلى يوم الجمعة حيث يقبض

(1) أبو الفدا: المختصر، ج4، ص 78.

(2) القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص 184.

(3) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج4، ص 437؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج12، ص 153-155.

عليهما أثناء الصلاة وهم في غفلة، ثم يذهب بهما إلى مكان ما حدده له الناصر حيث ينتظره اثنين من ممليه سيقومون بالقبض عليهما، وفي يوم الجمعة الموعد توجه بكتمر إلى الصلاة فقام بالقبض على الأميرين أثناء الصلاة وتوجه بهما حيث أمره الناصر، فوجد هناك الأميرين من مماليكه كان الناصر قد أرسلهما للقبض عليه، فقاما بمسك الأمير بكتمر فحاول أن يخبرهما بأنه ليس المقصود وإنما الأميرين كما اتفق معه الناصر، ولكنهما أخبراه أن المقصود من هذه الحيلة هو القبض عليك، وتركوا الأميرين الآخرين. (1)

4-العزل عن طريق القبض على الشخص المطلوب عزله وإعتقاله في السجن حتى الموت (2) أو حتى يتم العفو عنه والخلع عليه مرة أخرى (3)، أو عن طريق نفيه بطالاً دون عمل فبعد عزل الأمير طيبغا الطويل والقبض عليه وسجنه أمر السلطان بالإفراج عنه ونفيه إلى القدس بدون عمل (4) وذلك استمراراً لحالة العزل السياسي المفروضة عليه من قبل السلطان، أو عن طريق قتله من خلال تدبير مؤامرة لإغتياله ومن الأمثلة على ذلك أن الملك الناصر محمد بن قلاوون أمر سنة (740هـ/1339م) بالقبض على الأمير تنكز نائب الشام وقد زاد نفوذه وعظم سلطانه، فأراد الناصر أن يتخلص منه لذلك أمر بالقبض عليه، ونقل إلى ديار مصر إلى سجن القلعة ومنها

(1) المقرئزي: السلوك، ج2، ص 469، 474؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج9، ص 5-6؛ محمد عبد الغني الأشقر: نائب السلطنة المملوكية في مصر، ص 228-229.
(2) فقد تم القبض على الأمير بشتك وإعتقاله في سجن الإسكندرية حتى مات سنة 742هـ/1341م ابن كثير: البداية والنهاية، ج18، ص 427.
(3) بعد عزل الأمير بكتمر الحسامي عن الحجوبيه أفرج عنه الناصر وأنعم عليه بنبياة صفد سنة 717هـ/1317م. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج9، ص 46.
(4) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج11، ص 32.

العزل السياسي لأرباب الدولة خلال عصر المماليك البحريةية د. هنيه بهنوس نصر عبدييه
إلى الإسكندرية حيث تم قتله⁽¹⁾، أو عن طريق إنزاله من رتبته أو منصبه إلى
منصب أقل مما كان عليه بعد ولايته أو إمرته الأمثلة على ذلك عزل نائب حلب
الأمير علاء الدين الطيغاسنة (1338م/739هـ) والخلع عليه بنبابة غزة⁽²⁾.

الخاتمة

من خلال ما تم عرضه في طيات هذا البحث عن العزل السياسي لأرباب الدولة
تمكنت الباحثة من التوصل إلى عدة نتائج تمثلت في:

(1) ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج2، ص 29؛ المقرئزي: السلوك، ج3، ص 291.

(2) ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج2، ص 225.

- نجح السلاطين الذين قاموا بعزل بعض أرباب الدولة الذين زاد نفوذهم وقوي سلطانهم في تحقيق الهدف الأساسي من هذه السياسة الاقصائية والذي تمثل في الاستقلال بأمور الدولة والاستبداد بشئون الحكم دون منازع، ومن أبرز الأمثلة على ذلك نجاح الناصر محمد والناصر حسن في الاستقلال بأمور الدولة بعد تخلصهم من كبار الأمراء الذين زاد نفوذهم وقويت شوكتهم، كما استقرت لهم الأمور وهذأت الأحوال إلى حد ما، ومما يدل على ذلك أن مدة حكم الناصر في سلطنته الثالثة بلغت اثنين وثلاثون سنة حتى وافته المنية دون أن يتمكن أحد من خلة من السلطنة، وذلك نتيجة للسياسة الاقصائية التي اتبعها تجاه كل من شك في إخلاصه وشعر منه بالخطر حيث كان يقوم بإبعادهم عن مناصبهم والتخلص منهم بعد ما كان قد قربهم إليه وخلع عليهم وزاد في ألقابهم.

- لا شك أن العزل السياسي لبعض لأرباب الدولة قد أسهم في حل بعض الأزمات التي كان من الممكن أن تتضخم نتيجة استمرارهم، فعزلهم بسبب ظلمهم وتعسفهم جاء استجابة لشكاوي العامة منهم، مما دفع السلطة الحاكم إلى عزلهم خشية أن يتمرد العامة عليها ويقوموا بالثورة ضدها، كما أن العزل السياسي للأرباب الذين إدعوا السلطنة وقاموا بالمؤامرات لخلع السلطان وتغيير نظام الحكم قد ترتب عليه استقرار الأوضاع الأمنية والسياسية في مصر والبلاد الشامية بعد فترة من الاضطرابات التي شهدتها البلاد قبل عزلهم والتخلص منهم.

- نجح كل من السلطان الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون في استعادة الشام مرة أخرى إلى تبعية الديار المصرية وأصبح السلطان المملوكي يحكم مصر وبلاد الشام بعدما كانت سلطته قصرًا على مصر فقط، وذلك بعدما ادعى السلطنة في الشام كل

العزل السياسي لأرباب الدولة خلال عصر المماليك البحرية د. هنيه بهنوس نصر عبديه

من الأمير سنجر الحلبي في سلطنة بيبرس والأمير سنقر الأشقر في سلطنة المنصور قلاوون.

- نجاح السلاطين المماليك في إفشال مخططات عزلهم لا شك أنه ساهم إلى حد كبير في استمرارهم في السلطة لمدة أطول ومن الأمثلة على ذلك بيبرس والمنصور قلاوون والناصر محمد في سلطنته الثالثة.

- العزل السياسي لأرباب الدولة كان ينتج عنه معاناتهم معنويًا و ماديًا، فبعد عزلهم كانوا يتعرضون للذل والمهانة حتى أن بعضهم كان يضرب بالمقارع حتى يعترف بما له من المال، كما كان يجرّد من منصبه ورتبته ويعود إلى ما كان عليه أولاً قبل الولاية، وقد يحكم عليه بأن يظل بطالاً دون أن تكون هناك وظيفة تدر علي مال يستطيع الانفاق منه على نفسه وبيته، كما أنهم كان يتعرضون أيضاً للمصادرة بعد العزل وكانت تتبع كل الطرق من أجل اجبار المعزول على البوح بمكان أمواله وثوروته، وكان الهدف الأساسي من العزل هو الحصول على أموالهم واستنزاف ثرواتهم والعزل السياسي هو الغطاء لذلك.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- ابن إياس (زين العابدين محمد بن أحمد الحنفي)، (ت 930هـ / 1523م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، حققها وكتب لها المقدمة محمد مصطفى، (فيسبادن، دار نشر فرانز شتاينر، 1975).
- 2- ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف)، (ت عام 874هـ/1470م) : الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق فهم محمد شلتوت، (القاهرة، مكتبة الخانجي، 1979).
- 3- —: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، ج3، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985).
- 4- —: النجوم الزاهرة النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسن شمس الدين، ج7، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1992).
- 5- ابن حجر (شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر بن أحمد العسقلاني الكنائي)، (ت: 852هـ / 1448م): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج1، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، دت).
- 6- الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي)، (ت عام 626هـ / 1228م): معجم البلدان، ج1، (بيروت، دار صادر، 1977م).
- 7- ابن خلدون (ولي الدين عبد الرحمن بن محمد)، (ت: 808 / 1405 - 1406م): تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل حشادة، مراجعة سهيل زكار، ج5، (بيروت، دار الفكر العربي، 2000).
- 8- —: مقدمة بن خلدون، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، ج1، (دمشق، دار يعرب، ط1، 2004).

العزل السياسي لأرياب الدولة خلال عصر المماليك البحرية د. هنيه بهنوس نصر عبدربه

9- الدواداري (أبو بكر بن عبد الله بن أبيك)، (مولده ووفاته غير معروف): كنز الدرر وجامع الغرر، الدرالفاجر في سيرة الملك الناصر، تحقيق صلاح المنجد، الجزء9، (القاهرة ، دن، 1961).

10- السيوطي (عبد الرحمن ابن أبي بكر جمال الدين)، (ت: 911هـ / 1605م): حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج2، (دم، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1 ، 1967 / 1968).

11- أبو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المقدسي الدمشقي الشافعي)، (ت 665هـ / 1266م): الذيل على الروضتين، وضع حواشيه وعلق عليه إبراهيم شمس الدين، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2002).

12- الصفي (صلاح الدين خليل بن أبيك)، (ت 764هـ / 1362م): الوافي بالوفيات، تحقيق وإعتناء أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ج10، (بيروت، دار إحياء التراث العرب، ط1، 2000).

13- ابن العماد (شهاب الدين ابي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العسكري الحنبلي الدمشقي)، (ت 1089هـ / 1678م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، ج8، (بيروت ، دار ابن كثير، ط1، 1991).

14- العيني: (بدر الدين محمود)، (ت 855هـ / 1451م): عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تاريخ سلاطين المماليك، تحقيق محمد أمين، ج1، (دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة، 2010).

15- أبو الفدا أبي الفدا: الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل ابن علي)، (ت: 732هـ / 1331م): المختصر المختصر في أخبار البشر، تحقيق محمد زينهم عزب وآخرون، ج4، (القاهرة، دار المعارف، 1998).

- 16- ابن فضل الله العمري (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن فضل الله بن يحيى بن أحمد العمري، ت: 749هـ / 1349م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق كامل سلمان ومهدي نجم ، ج3، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2010).
- 17- القلقشندي (أبي العباس أحمد) ت عام 821هـ/1418م: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج3، (القاهرة، المطبعة الأميرية، 1915).
- 18- ابن كثير ابن كثير(عماد الدين أبو الفدا إسماعيل الدمشقي)، ت: 774هـ/1372م) : البداية والنهاية، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، ج17، (القاهرة، دار هجر، ط1، 1998).
- 19- المقرئ تقي الدين أحمد بن علي)، ت: 845هـ / 1441م): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقرئية)، ج2، (القاهرة، مكتبة الثقافة الديني، ط2، 1981) .
- 20- —: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ج1، (بيروت، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط1، 1997).
- 21- —: إغاثة الأمة بكشف الغمة، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999).
- 22- المنصوري (بيبرس) ، ت: 725هـ/1324م): زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، تحقيق دونالد س. ريتشاردز، (بيروت ، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ، ط1، 1998).
- 23- النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب)، ت عام 733هـ/1332م): نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق نجيب مصطفى فواز وحكمت كشلي فواز، ج31، (بيروت، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ، دت).
- 24- ابن الوردي (عمر بن مظفر)، ت عام 749هـ / 1349م): تاريخ ابن الوردي، ج2، (دم، المطبعة الوهيبية، 1285هـ).

العزل السياسي لأرباب الدولة خلال عصر المماليك البحرية د. هنية بهنوس نصر عبدربه

المراجع العربية:

- 25- سعيد عبدالفتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، (القاهرة، 1992).
- 26- عبد الله صالح الكنهل: العزل عن الولايات النيابية في الفقه الإسلامي، ج1، (المملكة العربية السعودية، الادارة العامة للثقافة والنشر، 2004).
- 27- علي إبراهيم حسن: تاريخ المماليك البحرية، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، دت).
- 28- محمد سهيل طقوش : تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام ، (لبنان، دار النفائس، 1997).
- 29- محمد عبد الغني الأشقر: نائب السلطنة المملوكية في مصر، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999)، ص 229.
- 30- محمود شلبي: حياة الملك الظاهر بيبرس ، (بيروت، دار الجيل ، ط1، 1992).
- 31- وليم موير: تاريخ دولة المماليك في مصر، ترجمة محمود عابدين وسليم حسن، (القاهرة، مكتبة مدبولي، ط1، 1995).

المراجع الأجنبية:

32- Lane-Poole, S. : A history of Egypt In the middle ages, New york, Charles scribner's son, 153-157 fifth avenue, 1901.